تاريخ الإرسال: 2015/07/09 - تاريخ القبول للنشر: 2015/11/23 تاريخ النشر: 2015/12/28

خطاب الفترة المكية تصحيح للفكر وتربية للوجدان

علي عدلاوي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط

مقدمة:

تميز القرآن الكريم في فترته المكية بمنهج خاص في تشكيل العقل المؤمن وصياغة القلب الخاشع، من خلال حشد من النصوص الكريمة، كلها تدور حول موضوع محدد، إنه «العقيدة»، ولم يخاطب مؤمنو تلك الفترة بخطاب التشريع والأمر والنهي والحلال والحرام– إلا ما ندر–والغاية هي إعادة قولبة الفكر والروح الذين شردا عن جادة الصواب بسبب «غياب» المصلح والداعية إلى سواء الصراط: (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) /القصص: 46، إنها النعمة التي امتن الله بها على العرب فجعلهم خير أمة أخرجت للناس، وإنها المنة التي خص بها رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِيَ السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ) /الشورى: 46.

فما هي معالمُ ذلك المنهج الرباني الذي استطاع به النبي صلى الله عليه وسلم من نقل مجتمع العرب وكثير من أمم العالم–حينذاك– من دائرة الكفر والشقاء إلى بحبوحة الإيمان وسعادة الدارين؟

وللإجابة على هذا الإشكال سطرت خطة منهجية كالتالي:

مدخل: تعريف القرآن الكريم وأهم المواضيع التي تناولها.

من معالم الرشد في المجتمع الجاهلي.

بين يدي رسول الإسلام عليه السلام قبل نزول الوحي.

دلائل وإشارات أوائل الوحي الكريم.

عناصر التصحيح الفكري والتربية الوجدانية.

خاتمة.

ثبت المصادر والمراجع.

مدخل: تعريف القرآن الكريم وأهم المواضيع التي تناولها.

القرآن الكريم مكتوب في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات بخمسين ألف سنة [1]، ولما دنا نزوله إلى الأرض مع بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، نزل منجما ومفرقا حسب الأحداث والوقائع، في مرحلتين حاسمتين(مكية–مدنية)، وأولاهما كانت المرحلة المكية، وقد تميزت بخطاب العقيدة ، وتصحيح الفكر المنحرف، وتربية الضمير المؤمن، من خلال حشد من النصوص الكريمة، تمحورت حول ضرورة ووجوب التأمل وعرض دلائل الإعجاز في الأنفس والآفاق، وتسفيه أحلام الجهلة عبدة الأوثان، إضافة إلى غرس معاني الخشية والرجاء والخوف من خلال الحديث المستفيض المتكرر عن عالم الغيب، وذكر قصص الأولين للسلوى والعبرة، والترغيب في الجنان والرضوان والترهيب من العذاب بالنيران.

أولا: تعريف القرآن الكريم

هو كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختتم بسورة الناس والمعجز بلفظه ومعناه [2]. ويكاد يكون هذا التعريف الجامع المانع متفقا عليه بين جميع العلماء والمفسرين. ويعتبر كتاب الله عز وجل هداية للبشرية جمعاء، ودستور تشريعي للأمة الإسلامية بخصوص. ولقد أولى المسلمون عناية فائقة بكتاب الله الكريم: حفظا وتدبرا وتطبيقا ودعوة للناس، كيما يطبقوا تعاليمه في حياتهم الفردية والجماعية، وقد سهلوا للناس فهمه من خلال تفسيره وتقريب معانيه.

ثانيا: الموضوعات القرآنية

ومن أهم دلائل ذلك الاهتمام هو تتبع آياته وسوره وتصنيفها في مواضيع محددة ليسهل على الباحثين الرجوع إلى الموضوع والدرس القرآني، المراد الاستشهاد به أو البحث في مضمونه.

وقد ذكر الأستاذ «عز الدين بليق» أن القرآن الكريم احتوى على ما يأتي:

–العقائد التي يجب الإيمان بها.

–الأخلاق الفاضلة التي تهذب النفوس، والأخلاق السيئة التي حذر منها.

–الإرشاد إلى النظر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض.

–قصص الأولين أفرادا وأمما.

–الإنذار والتخويف، أو الوعد والوعيد.

–الأحكام الشرعية العملية [3]، وهذه كانت أغلب وأعم الخطاب المدني، بعد رسوخ معاني التوحيد والإيمان في العقول والقلوب، وبعد أن تهيأت الظروف المناسبة(زمانا ومكانا) لتطبيق الأحكام والحدود الشرعية.

وقد أحصى الأستاذ «مروان العطية» مواضيع القرآن الكريم، الرئيسة منها والفرعية، وألحقها –كفهارس– بأواخر المصاحف الشريفة. والمواضيع الرئيسة منها اندرجت تحت العناوين التالية: أركان الإسلام/الإنسان والعلاقات الاجتماعية/الإنسان والعلاقات الأخلاقية /الإيمان /التجارة والزراعة والصناعة /تنظيم العلاقات المالية/الجهاد/الدعوة إلى الله عز وجل/ الديانات/العلاقات السياسية والعامة/العلاقات القضائية/العلوم والفنون/العمل/القرآن الكريم/ القصص والتاريخ [4].

وقد لاحظ الشيخ محمد الغزالي رحمه الله أن الموضوعات القرآنية الكريمة تدور حول خمسة محاور، فيقول: «والقرآن الكريم – مع استفاضة معانيه، وكثرة سوره – يمكن القول بأنه يدور على محاور خمسة»، معنونة كالتالي: الله الواحد/الكون الدال على خالقه/القصص القرآني/البعث والجزاء/ميدان التربية والتشريع [5].

وفي بيان ما اشتمل عليه كتاب الله عز وجل من العلوم والحكم والأحكام على الجملة يقول ابن جزي الغرناطي[6]: « الباب الثالث: في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن، ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل، أما الجملة، فاعلم أن المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله، وإلى الدخول في دينه، ثم إن هذا المقصد يقتضي أمرين، لا بد منهما، وإليهما ترجع معاني القرآن كله: أحدهما بيان العبادة التي دعا الخلق إليها، والأخرى ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وتردهم إليها، فأما العبادة فتنقسم إلى نوعين، وهما أصول العقائد وأحكام الأعمال، وأما البواعث عليها فأمرين، وهما الترغيب والترهيب، وأما على التفصيل فاعلم أن معاني القرآن سبعة: وهي علم الربوبية، والنبوة، والمعاد، والأحكام، والوعد والوعيد، والقصص» [7].

1– معالم الرشد في المجتمع الجاهلي:

كان العرب خصوصا والعالم عموما قبل نزول القرآن الكريم يعيشون حالة من الفوضى الفكرية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية..وغيرها مما جعل الضمير الفطري يستغيث ربه، ويتطلع إلى السماء من أجل الإنقاذ والخروج من دياجير الجاهلية والظلام، فكانت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم هي رسالة التحرير والنجاة.

وقد تميز مجتمع مكة (وهي موطن نزول الوحي الكريم) بكثير من الملامح الإيجابية التي جعلته مؤهلا لاحتضان أعظم رسالة دينية ودنيوية شهدها التاريخ، ولن يشهد مثلها أبدا. ومن بين تلك الملامح الفطرية الراشدة– على سبيل المثال لا الحصر–:

– التحنف بدين إبراهيم عليه السلام(*): ومثل هذا الاتجاه الكريم ثلة من عقلاء العرب منهم: ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل وغيرهم كثير. وقد اجتمع أولئك النبلاء الكرام –في أحد الأيام– فقال بعضهم لبعض: « تعلمون والله ما قولكم على شيء، و لقد أخطأوا–يقصدون العرب– دين أبيهم إبراهيم، وما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع؟ يا قوم التمسوا لأنفسكم دينا، فإنكم والله ما أنتم على شيء»، فتفرقوا في البلدان يلتمسون (دين إبراهيم) عليه السلام [8].

– الكرم: ويتجلى كرمهم في الاحتفاء بالضيوف، ومن دلائل ذلك أنهم كانوا يوقدون النيران العظيمة حتى يراها المسافرون والغرباء من بعيد فيقصدونهم، وقد اشتهر بالكرم من العرب الكثير، منهم حاتم الطائي، وهرم بن سنان، وعبد الله بن حبيب العنبري، وأوس بن حارثة الطائي، وقس بن سعد، وعبد الله بن جدعان..وغيرهم كثير.

يقول حاتم الطائي معبرا عن كرمه:

يَقُولُونَ لِي أَهْلَكْتَ مَالَكَ فَاقْتَصِدْ وَمَا كُنْتُ لَوْلاَ مَا تَقُولُونَ سَيِّدَا [9]

ويذهب كرم حاتم بعيدا حين يعد نفسه عبدا لضيفه في قوله:

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيا وَما فِيَّ إلاَّ تِلك مِنْ شِيمَة العَبْدِ [10]

ويذم حاتم كل بخيل بقوله:

إِذَا مَا بَخِيلُ النَّاس هَرَّتْ كِلاَيُهُ وَشَقَّ عَلَى الضَّيْف الضَّعِيف عقُورُهَا

فإِنِّي جَبانُ الكلب بَيْتِي مُوَطَّأٌ أَجُودُ إِذَا مَا النَّفْسُ شَحَّ ضَمِيرُهَا [11]

– العفة: اتسم العربي بخلق التعفف، ذلك على الرغم مما أثر عن كثير من العرب المجون والتغزل بالنساء، ولقد كانت العفة شرطا أساسيا من شروط السيادة، مثلها مثل الكرم والشجاعة وغيرهما..

يقول عنترة بن شداد:

وأَغُضُّ طَرْفِي ما بَدَتْ لي جارَتِي حتى يُواري جارَتِي مَأْواهـا

إِنّي امرُؤٌ سَمحُ الخَليقَةِ مـاجِدٌ لا أَتبِعُ النَفسَ اللَّجوجَ هَواها [12]

وها هي الخنساء تتمدح بعفة أخيها صخر، فتقول:

لَمْ تَرَهُ جَارَةٌ يَمْشِي بِسَاحَتِهَا لِرِيبَةٍ حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ الجَارُ [13]

وأنشد المبرّد:

مَا إِنْ دَعَانِي الهَوَى لِفَاحِشَةٍ إِلاَ نَهَانِي الحَيَاءُ وَالكَرَمُ

فَلاَ إِلَى فَاحِشٍ مَدَدْتُ يَـدِي وَلاَ مَشَتْ بِي لِزَلَّةٍ قَدَمُ [14]

–الشجاعة: أما هذه فحدث بها عن العرب ولا حرج، فقد ضربوا فيها بسهم وافر، وقد كانوا يستهينون بالموت، دفاعا عن ذمار القبيلة، أو ذودا عن الحريم أو ثأرا من الظلمة..

وممن اشتهر من العرب بالشجاعة: عنترة بن شداد، وعامر بن الطفيل، وعمرو بن معد يكرب، وعمرو بن كلثوم.. وغيرهم كثير. يقول ابن خلدون في وصف شجاعتهم: « ....قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية، يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ» [15].

2– بين يدي رسول الإسلام عليه السلام قبل نزول الوحي:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم – قبل بعثته – مثالا للطهر والاستقامة والنبل، فلم ير منه قومه سوى الفضائل

والإحسان والخير، ومن كثرة ما خالطوه حكموا عليه بصفتي: الصدق والأمانة، فلقبوه ب «الصادق الأمين».. حتى لقد تدافع عليه كفار قريش يهبونه مواشيهم ليرعى بها، وأموالهم ليتاجر بها، ولا أدل على ذلك من موقف السيدة الفاضلة خديجة رضي الله عنها، فقد أخذ بكل عاطفتها، حتى أحبته وخطبته لنفسها، واستودعته كل مالها ليتاجر به.

لقد شب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحوطه الله سبحانه وتعالى بعنايته، ويحفظه من أقذار الجاهلية، لما يريده له من كرامته ورسالته، حتى صار أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأكرمهم حسبا، وأحسنهم جوارا، وأعظمهم حلما، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش.

لقد نشأ خير الخلق سليم العقيدة، صادق الإيمان، عميق التفكير، غير خاضع لترهات الجاهلية، فما عرف عنه أنه سجد لصنم، أو تمسح به، أو ذهب إلى عراف أو كاهن، بل بغضت إليه عبادة الأصنام. ولم يشرب خمرا قط، ولا اقترف فاحشة، ولا انغمس فيما كان ينغمس فيه المجتمع العربي حينئذ من اللهو، واللعب، والميسر (القمار)، ومصاحبة الأشرار، ومعاشرة القيان، والجري وراء الكواعب على ما كان عليه من فتوة، وشباب، وشرف نسب، وعزة قبيلة، وكمال، وجمال وغيرها من وسائل الإغراء. ومن دلائل مكانته العالية بين قومه أنه لما بنت قريش الكعبة في سنة خمس وثلاثين من عمره فوصولا إلى موضع الحجر الأسود اشتجروا فيمن يضع الحجر موضعه، فقالت كل قبيلة: نحن نضعه، ثم اتفقوا على أن يضعه أول داخل عليهم، فكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالوا: جاء الأمين، فرضوا به، فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه، وأمر كل قبيلة أن ترفع بجانب من جوانب الثوب ثم أخذ الحجر فوضعه موضعه – صلى الله عليه وسلم – وهذا يدل دلالة واضحة أنه عليه الصلاة والسلام بلغت مكانته درجة رفيعة عند قومه وعشيرته، وهذا شيء اختاره الله عز وجل لكي يمهد لرسالته [16].

3– دلائل وإشارات أوائل الوحي الكريم:

إن أول ما نزل من الغيث الرباني هو آيات كريمات تحث على طلب العلم بوسيلتيه: «القراءة والكتابة»، فقال تعالى– مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم على وجه الخصوص وكل المسلمين عموما: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ *)/العلق:5–1: « اقرأ بشكل أو بآخر أي اطلب العلم، لأن في الإنسان عقلا يدرك، وقلبا يحب، وجسما يتحرك، الغذاء الأول للإنسان غذاء عقله بالعلم، فإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معا فعليك بالعلم، لكن العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئا، ويظل المرء عالما ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل.طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معا، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معا» [17].

وللتأكيد على أهمية العلم وكونه أساسا لكل حضارة، أن نزلت بعد هذه الآيات الكريمة أوائل سورة ن «القلم» في قوله تعالى: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)/القلم: 01. وقد ورد في تفسير ابن كثير رحمه الله أن أول شيء خلقه الله تعالى هو القلم، وهذا للدلالة على عظمة العلم وأثره في حياة المخلوقات، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال » : إن أول شيء خلق ربي عز وجل القلم، ثم قال له : اكتب. فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة» [18].

لقد كانت أكبر أزمة عاشها المجتمع العربي والعالم قبل الإسلام هي أزمة العقل المنحرف، فعمل الوحي على تصحيح مفاهيمه وتصوراته عن الكون والحياة ورب المخلوقات والمصير بعد الممات، وكما عمل على تربية الوجدان المؤمن بالترغيب والترهيب، فكان كل القرآن المكي (86 سورة كريمة) يركز على هذا الأمر، وهو إعداد للنفوس كيما تتقبل الأوامر والنواهي والحلال والحرام فيما بعد، وذاك الذي كان بالفعل، فكان المسلمون يقولون – حين نزول التشريع في المدينة المنورة –: سمعنا وأطعنا، وانتهينا ربنا انتهينا حين نزل تحريم الخمر.

4- عناصر التصحيح الفكري والتربية الوجدانية:

لقد نزل القرآن الكريم في بيئة جاهلية، لم يكن أصحابها يقرءون كتابا، ولا عهد لهم بدين سابق، اللهم إلا بقايا أتباع إبراهيم عليه السلام (الأحناف) وقليل من اليهود المنغلقين على أنفسهم أو النصارى الذين لم يتواجدوا بكثرة في جزيرة العرب، وخاصة في مكة ويثرب..ولذلك كثر الجهل في العرب وقست قلوبهم بالجفاء والبعد عن منابع الوحي.

وقد كان نزول القرآن الكريم في مبتدئه يركز على تصحيح المفاهيم حول بدء الخليقة، والحياة بعد الموت، ويكثر الحديث عن عالم الغيب: (اللّه تعالى والملائكة والجن والحساب والجنة والنار..)، بالتوازي مع الأحاديث الشريفة – وهي وحي أيضا: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى*) /النجم: 4-3-، والتي كانت تكرر وتؤكد الحديث عن عالم القبر والبرزخ وقصص الأولَين..كَل ذلك شكل العقل المؤمن الواعي، وعالج قسوة القلوب الجافية.

ومن بين أهم العناصر التربوية التي كان الوحي الكريم ينزل بها، ويضخها ضخا في ضمائر الذين آمنوا، ويجادل بها الذين كفروا واستكبروا هي ما يلي:

* التأمل والنظر: كان أول أمر النبي صلى اللّه عليه وسلم حين كان يقصد غار حراء هو: التحنث والتعبد، والمقصود به (التأمل)، ذلك أنه صلى اللّه عليه وسلم رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب، ولم تكن له صلة قبلية بأهل الكتاب، ولما أن كره حال قومه لما يشاهده منهم – يوميا – من عبادة الأوثان، ووأد البنات، وشرب الخمور وغيرها من مظاهر الجاهلية التي اعتادها الناس عموما..كان يتزود الليالي ذوات العدد ليقصد غار حراء، يتأمل في خلق الكون، ويتطلع إلى رسالة إنقاذ وتحرير من ربقة الجاهلية، وفي غمرة ذلك التأمل الواعي الهادئ نزل الوحي: هداية للعالمين، وإكراما لخير المرسلين.

حدثت السيدة عائشة رضي اللّه عنها عن ذلك فقالت:« أول ما بدئ به رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: (اقرأ)، قال: « ما أنا بقارئ» .قال: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني قال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت : ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ *) /العلق:»5-1. فرجع بها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : «زملوني! زملوني » فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : «لقد خشيت على نفسي ». فقالت خديجة: «كلا واللّه ما يخزيك اللّه أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.».

وقبيل النبوة حبب إلى نفس النبي صلى اللّه عليه وسلم الخلوة، ليتفرغ قلبه وعقله وروحه إلى ما سيلقى إليه من أعلام النبوة، فاتخذ من غار حراء متعبدا، لينقطع عن مشاغل الحياة ومخالطة الخلق، واستجماعا لقواه الفكرية، ومشاعره الروحية، وإحساساته النفسية، ومداركه العقلية، تفرغا لمناجاة مبدع الكون وخالق الوجود والغار الذي كان يتردد عليه الحبيب المصطفى صلى اللّه عليه وسلم يبعث على التأمل والتفكر، تنظر إلى منتهى الطرف فلا ترى إلا جبالا كأنها ساجدة متطامنة لعظمة اللّه، وإلا سماء صافية الأديم، وقد يرى من يكون فيه ' مكة إذا كان حاد البصر.

كانت هذه الخلوة التي حببت إلى نفس النبي صلى الله عليه وسلم لونا من الإعداد الخاص، وتصفية النفس من علائق المادية البشرية إلى جانب تعهده الخاص بالتربية الإلهية والتأديب الرباني في جميع أحواله، وكان تعبده صلى الله عليه وسلم قبل النبوة بالتفكر في بديع ملكوت السماوات، والنظر في آياته الكونية الدالة على بديع صنعه وعظيم قدرته، ومحكم تدبيره، وعظيم إبداعه. قال تعالى- يحث على السير والنظر في الكون-:(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ) /يوسف: 109.

وقد أخذ بعض أهل السلوك إلى الله من ذلك' فكرة الخلوة مع الذكر والعبادة في مرحلة من مراحل السلوك، لتنوير قلبه وإزالة ظلمته وإخراجه من غفلته وشهوته وهفوته، ومن سنن النبي صلى الله عليه وسلم سنة الاعتكاف في رمضان ، وهي مهمة لكل مسلم سواء كان حاكما أو عالمًا، أو قائدا، أو تاجرا.. لتنقية الشوائب التي تعلق بالنفوس والقلوب، ونصحح واقعنا على ضوء الكتاب والسنة، ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب.

وإذا التفتنا إلى سلفنا الصالح رأينا عجبا فهذا الشيخ أبو سليمان الداراني يقول: إني لأخرج من منزلي، فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمة، أو لي فيه عبرة.

وعن الحسن البصري أنه قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة.

وقال الفضيل: قال الحسن: الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك.

وقال سفيان بن عيينة: الفكرة نور يدخل قلبك. وربما تمثل بهذا البيت:

إذا المرء كانت له فكرة *** ففي كل شيء له عبرة

وعن عيسى، عليه السلام، أنه قال: طوبى لمن كان قيله تذكرا، وصمْته تفكرا، ونظره عبرا.

وقال لقمان الحكيم: إن طول الوحدة ألهم للفكرة، وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة.

وقال وهب بن منبه: ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم، وما فهم امرؤ قط إلا علم، وما علم امرؤ قط إلا عمل.

وقال عمر بن عبد العزيز: الكلام بذكر الله، عز وجل، حسن، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة[19].

ويمكن لأهل الدعوة والمشتغلين بإصلاح الخلق وتربيتهم وتنشئتهم على المثل العليا أن يعطوا لأنفسهم فترة من الوقت للمراجعة الشاملة والتوبة، والتأمل في واقع الدعوة وما هي عليه من قوة أو ضعف واكتشاف عوامل الخلل، ومعرفة الواقع بتفاصيله، خيره وشره.

* التعريف بقصة الخلق وقصص الأولين: إنه لكسب وضخم كبير أن يعرف الإنسان من أين جاء، وكيف جاء إلى هذه الحياة الدنيا، ولم جاء؟ ذلك الذي حار في سره الفلاسفة والعباقرة المخترعون في شتى علوم الدنيا: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)/الروم: 7. أما المسلم فبنعمة الله وفضله يعلم تفاصيل طويلة وعريضة عن نشأة الكون، وقصة خلق أبي البشرية آدم عليه السلام وزوجه حواء عليها السلام، ثم كيف بدأت البشرية تدب على وجه الأرض، وقصة الرهط الكريم من الأنبياء والرسل عليهم السلام وأقوامهم.. إلى معرفة تفاصيل عن نهاية الكون وقيام الساعة، بل أكثر من ذلك تفاصيل عن اليوم الآخر وما فيه من حساب ونعيم أو عذاب، كل ذلك من المصدر الوحيد : القرآن الكريم والسنة المحمدية المطهرة الصحيحة.

إن القرآن الكريم في فترته المكية كان دائما يكرر هذه القصص، لتقتات القلوب من زاد المعرفة، وتستثمر التجارب الإنسانية في تعمير الأرض بكل نافع ومفيد..ثم الاستعداد ليوم المعاد.

ومن بين تلك القصص قصة آدم وإبليس وخروجهما من الجنة، وقصص سيدنا موسى عليه السلام مع بني إسرائيل–وهو أكثر القصص القرآني–: (إِنّ هَذا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)/ النمل: 76.

* بيان رسالة الإنسان: لا يستطيع العقل المجرد أن يرسم لنفسه – ناهيك عن غيره من البشر– ما تستقيم به حياته الدنيوية وتصلح به حياته الأخروية، ولو نجح في بعض الشؤون، وفي بعض الأزمان، فإنه لا يستطيع ذلك في كل الشؤون وفي كل الأوقات، والسبب راجع لعجزه ونقصانه وغفلته وذهوله عند الملمات..ثم تكون نهايته الممات، ولذلك تكفل الخالق البديع رسم الخطوط العريضة للرسالة البشرية، وبين لهم حدودها ومعالمها، وحذر من تنكبها والغفلة عنها، فكما أن الإنسان الصانع لجهاز ما يسلمه مع دليل استعماله، فكذلك الإنسان– وهو أعظم مصنوع – أنزل اللّه تعالى معه دليل فلاحه ونجاحه في الحياتين، وذلك الدليل والمنهاج يتمثل في (الوحي والرسول). قال تعالى: (أَفَحَسِبْتُم أَنَّمَا خَلَقْنَاكُم عَبَثاً وَأَنَّكُم إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ)/ المؤمنون: 115. وقال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالأِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنّ اللّه هُوَ الرّزّاقُ ذُو الْقُوّةِ الْمَتِينُ *)/الذاريات: 56–57–58.

* تهذيب السلوك: لا شيء يدل على خبيئة النفوس مثل ما ينطق به اللسان وتتحرك به الجوارح، وقديما قالوا: المرء مخبوء وراء لسانه، ويقال في الأمثال السائرة بما معناه: كل إنسان يدل عليه فعله، وبالفعل فإن العقائد مقرها القلوب، ولا يطلع عليها الآخر، وكذا العبادات فهي علاقة بين الخالق والمخلوق، ثم هي موسمية ومؤقتة بأوقات محدودة معدودة، أما السلوك والعمل والأخلاق فهي ملازمة للمرء، ولن يستطيع أن يتكلفها طويلا، فسرعان ما يفتضح صاحبها. ومن بين تلك الخلال الكريمة التي نزل القرآن الكريم ليرسخها ويهذب بها سلوك المؤمنين:

* الوفاء بالعهد:

في قوله تعالى: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً)/الإسراء: 34، وقوله عز وجل: (وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)/المعارج: 32.

* النهي عن الإسراف والتبذير:

في قوله تعالى: (وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا)/الإسراء: 29.

* الأمر بالعدل في جميع الأحوال:

قال تعالى: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى)/الأنعام: 152.

* تجريم الظلم والظالمين:

قال تعالى: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)/الشعراء: 227.

* وجماع الأخلاق والفضائل في الدعوة القرآنية إليها يأتي في جملة آيات منها قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ

هُمُ الْعَادُونَ * وَالَذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)/المؤمنون: 1 – 11. وقد أثنى ربنا على النبي صلى اللّه عليه وسلم «سيد المتأدبين» بقوله الكريم: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)/القلم: 04. وقد جاء في الأثر: « أدبني ربي فأحسن تأديبي »[20]. وقد جعل صاحب الخلق الحسن سابقاً للخيرات والدرجات العلا من كثير من المتعبدين، فقال صلى اللّه عليه وسلم: « إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم »[21].

لقد دأب الكتاب الكريم على تهذيب أخلاق المسلمين بترتيب الأجر والثواب على حسني الخلق، وبالوعيد لمن يسوء خلقه، فكان الصحابة يتلقون الدروس القرآنية النظرية من خلال السلوك العملي للنبي صلى اللّه عليه وسلم الذي كان خلقه القرآن الكريم. وإن القرآن الكريم هو أصل الأخلاق الإسلامية، وهو يربط بين القول والعمل والقيمة والسلوك. فكثيرا ما قرن بينهما، وبصيغ مختلفة: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا)/الكهف: 107.(وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا)/طه: 112.

والأخلاق في القرآن قاسم مشترك على مختلف أوجه الحياة، سياسية واجتماعية وقانونية وتربوية. وغاية الأخلاق في الإسلام بناء مفهوم» التقوى « الذي يجعل أداء العمل الطيب واجبا محتما، ويجعل تجنب العمل الضار واجبا محتما، ويجعل الخوف من اللّه أقوى. فالقيم الأساسية في الإسلام ثابتة لا تتغير لأنها صالحة لكل زمان ومكان، وإن الأخلاق والعقيدة والشريعة ليست من صنع الإنسان، ولذلك فهي قائمة على الزمان ما بقي الزمان على اختلاف البيئات والعصور، وإن الحق سيظل هو الحق لا يتغير.

ولذلك فإن أبرز قواعد الإسلام هو (ثبات القيم) وبالتالي (ثبات الأخلاق. وإن الالتزام الخلقي هو قانون أساسي يمثل المحور الذي تدور حوله القيم الأخلاقية، فإذا زالت فكرة الالتزام قضي على جوهر الهدف الأخلاقي، ذلك أنه إذا انعدم الالتزام انعدمت المسؤولية، وإذا انعدمت المسؤولية ضاع كل أمل في وضع الحق في نصابه .والقرآن الكريم – سيما في فترته المكية – يحمل قواعد نظرية أخلاقية متكاملة تقود إلى الفضائل في أحسن ما تكون عليه، وهذا ينبع من غاية رسالة الإسلام التي هي رحمة للعالمين.

وقد كان من كريم أخلاقه صلى اللّه عليه وسلم في تعامله مع أهله وزوجه أنه كان يحسن إليهم ويرأف بهم ويتلطف إليهم ويتودد إليهم، فكان يمازح أهله ويلاطفهم ويداعبهم، وكان من شأنه صلى اللّه عليه وسلم أن يرقق اسم عائشة رضي اللّه عنها كأن يقول لها: (يا عائش)، ويقول لها: (يا حميراء) ويكرمها بأن يناديها باسم أبيها بأن يقول لها: (يا ابنة الصديق) وما ذلك إلا تودد وتقربا وتلطفا إليها واحتراما وتقديرا لأهلها .

وكان صلى اللّه عليه وسلم يسمع بكاء الصبي فيسرع في الصلاة مخافة أن تفتتن أمه.

وعن عائشة رضي اللّه تعالى عنها قالت: «ما ضرب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم خادما له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل اللّه «.

ومن تواضعه صلى اللّه عليه وسلم أنه كان يجيب الدعوة ولو إلى خبز الشعير ويقبل الهدية، فعن أنس رضي اللّه عنه قال: « كان صلى اللّه عليه وسلم يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب»[22].

هذه الأخلاق العالية وغيرها كانت بمثابة التعليم المفتوح اليومي، الذي ينهل منه مجتمع الصحابة الكرام عليهم الرضوان، فكان الأسوة والقدوة لهم في كل زمان ومكان، فلم ينافقوا –حاشاهم– ولم يبدلوا ولم يغيروا، فاستحقوا بجدارة لقب: أستاذية العالم.

* التعريف بالمصير بعد الموت(الترغيب والترهيب): استفاض الحديث في القرآن المكي عن عالم الغيب وما فيه

من ألوان الحساب والنعيم أو الجحيم، ليربي القلوب على خلقي الخوف والرجاء، وهما جناحان تطير بهما الروح في عالمها الرحيب في دنيا المحن والفتن والبلاء، فلا ييأس صاحبها من رحمة الله وعفوه ولا يقنط من جزيل ثوابه وكريم عطائه، كما لا يغتر ويدلي بطاعته فيهلك بسبب ذلك، لنتأمل هذ الآيات الكريمات من الفترة المكية، كيف تعمل عملها في القلوب المؤمنة:

– قال تعالى: (إِنَ الذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَالذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ * وَالذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ *) المؤمنون:61–57.

هذه الآيات تبرز صورة اليقظة والحذر في القلوب المؤمنة لتوضح أثر الإيمان في القلب، فهؤلاء المؤمنون يشفقون من ربهم خشية وتقوى؛ وهم يؤمنون بآياته، ولا يشركون به. وهم ينهضون بتكاليفهم وواجباتهم. وهم يأتون من الطاعات ما استطاعوا. ولكنهم بعد هذا كله: (يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) لإحساسهم بالتقصير في جانب الله، بعد أن بذلوا ما في طوقهم، وهو في نظرهم قليل. وهذا هو ما وضحه الرسول في الحديث التي روته عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: يا رسول الله وَالذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: لا يا بنت الصديق ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق، وهو يخاف الله عز وجل. هذا هو فعل الإيمان في القلوب إذا استمكن فما أحلى الحياة في ظل الإيمان!.

– وقال عز من قائل: (قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ إِنَّ اللّه يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللّه هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ *) الزمر: 59–53.

قال ابن كثير : هذه الآيات الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها ، وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر . ولا يصح حمل هذه الآيات على غير توبة، لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه»

– وقال جل في علاه: (يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ *) الانفطار: 8–6.

في هذه الآيات يذكر المولى عز وجل الإنسان بنعمة الله الأولى عليه، نعمة خلقه في هذه الصورة السوية ويلمس قلبه لمسة فيه عتاب على غفلته وتقصيره: (يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ) ينادي في الإنسان أكرم ما في كيانه ، وهو «إنسانيته» التي بها تميز عن سائر الأحياء .. ثم يعقبه ذلك العتاب الجميل الجليل : (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) ؟.. يا أيها الإنسان ما الذي غرك بربك، فجعلك تقصر في حقه، وتتهاون في أمره، ويسوء أدبك في جانبه ؟ وهو ربك الكريم، الذي أغدق عليك من كرمه وفضله وبره [23].

– وقال سبحانه: (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ) فاطر:37.

وهؤلاء الكفار يصرخون من شدة العذاب في نار جهنم مستغيثين: ربنا أخرجنا من نار جهنم، وردنا إلى الدنيا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمله في حياتنا الدنيا، فنؤمن بدل الكفر، فيقول لهم: أولم نمهلكم في الحياة قدرا وافيا من العمر، يتعظ فيه من اتعظ، وجاءكم النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لم تتذكروا ولم تتعظوا ؟ فذوقوا عذاب جهنم، فليس للكافرين من ناصر ينصرهم من عذاب الله.

خاتمة:

لقد تدرج القرآن الكريم –خلال الفترة المكية، من خلال العشرات من السور والمئات من الآيات الكريمة– في تصحيح معتقدات وأفكار وتصورات الناس بعموم، والمسلمين بخصوص حول الحياة والكون وسر الحياة وحقيقة الغيب وما إلى ذلك، إلى جانب صقل القلوب وتنمية المشاعر الطيبة، واستحياء الوجدان الذي رانت عليه أقفال الجهل والقسوة بسبب البعد عن مصدر التلقي الوحيد: وهو النبوة والأنبياء.

لقد كان خطابا هادئا يعمل في هدوء واطمئنان، ومما زاد في تثبيت تلك المعاني هو ما كان يلاقيه المسلمون في الفترة المكية من لأواء ومحن ومعارضة شديدة من أقوامهم.

ويعتبر ذلك درسا لكل من يتصدر للتربية والإصلاح والتوجيه، فلا بد من البداية بالعقل: تصحيحا للمفاهيم السلبية، وترسيخا للمعارف الصحيحة، وكذا البداية بإثارة الوجدان ونداء الفطرة، عن طريق الوعظ والترغيب والترهيب، ومن ثم تصبح النفوس مهيأة للأمر والنهي والتقويم.

الهوامش:

1– إشارة إلى الحديث الشريف الذي رواه مسلم(2653) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء ».

2– التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني، ص.6

3– موازين القرآن والسنة للأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة، ص15 وما بعدها.

4– انظر: (المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم)، وقد جعل تحت هذه العناوين الرئيسة عناوين كثيرة فرعية، وأشار إلى مواضعها في الكتاب العزيز، وذلك بالإشارة إلى أرقام الآيات وأرقام السور، وقد طبع المعجم في البداية بمطابع دمشق، ثم عمم طبعها في المطابع

الأخرى. وهو عمل جليل من شأنه تسهيل عملية البحث في التفسير الموضوعي. وانظر: (المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم) لمؤلفه صبحي عبد الرؤوف عصر.

5– المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي، ص.16

6– محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ،ابن جزي الكلبي،أبو القاسم: (741–693ه/1340–1294م)، فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة، من كتبه: (القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية)، (التسهيل لعلوم التنزيل): تفسير. قال المقريزي: «فقد وهو يحرض الناس يوم معركة طريف»، الأعلام، الزركلي، ج5، ص.325

7– تفسير (التسهيل لعلوم التنزيل)، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، ص.5

(*) الحنيفية: اتجاه عقائدي وسلوكي لدى بعض عرب الجاهلية، ينبذ الشرك وينابذ الأخلاق والعادات السيئة، مثل وأد البنات وشرب الخمر ولعب الميسر.وكانوا يعتقدون في البعث بوجود إله واحد يحاسب ويجازي الناس على أعمالهم من خير وشر. ويطلق على هذه النزعة (التحنف)، وعلى أصحابها الحنفاء.أو التائبون المعترفون ،نسبة إلى حنيف.وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في سورة آل عمران/67: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، ينظر: تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن، ج1، ص73. وهي: « أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين»، عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1397ه/1979م، ص.7

8– ينظر: العقيدة في الله، عمر سليمان الأشقر رحمه الله، ص.267

9– ديوان حاتم الطائي، ص.41

10- المصدر السابق نفسه، ص.44
11- نفسه، ص62، .63
12- ديوان عنترة بن شداد، ص.68
13- ديوان الخنساء، ص.47
14- المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، ص.662
15-المقدمة، ص138، .139
16- الفصول في سيرة الرسول، ابن كثير، ص.95
17- موقع الدكتور محمد راتب النابلسي،، تاريخ التحميل: 29/11/2015م: سا: .00.01
18- تفسير ابن كثير، ج8، ص.184 الفصول في سيرة الرسول، لابن كثير، دار ابن كثير، بيروت، ط6، (د.ت).
19- موقع نداء الإيمان:http://www.al-eman.com/، تاريخ التحميل: 28/12/2015، سا: .17.15
20- رواه ابن السمعاني في أدب الإملاء والاستمراء، ص 1 ، ونسبه السخاوي في المقاصد ص 29 للعسكري في الأمثال وضعفه أيضا الألباني، انظر سلسله الأحاديث الضعيفه 1/101 -102 وقال شيخ الإسلام ابن تيميه : إن معناه صحيح، ولكن لا يعرف به إسناد ثابت 0 انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه 18/375.
21- رواه أبو داود، وأحمد، من حديث عائشة رضي الله عنها، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، (38935).
22- رواه الترمذي في الشمائل .الإهالة السنخة: أي الدهن الجامد المتغير الريح من طوال المكث، موقع صيد الفوائد: http://www.saaid.net/mohamed/19.htm ، وموقع معاجم: http://www.maajim.com/dictionary، تاريخ التحميل: 27/11/2015، سا: 20.37.
23- تفسير ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ص106. موقع نداء الإيمان: http://www.al-eman.com، تاريخ التحميل: 27/11/2015، سا: 20.15، موقع التفسير: http://quran.v22v.net/tafseer-3697-35.html، تاريخ التحميل: 27/11/2015، سا: 2012.

ثبت المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

* كتب السنة.

1- المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط3، 1421ه/2000م.

2- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، دار قتيبة، دار الوعي، سنة النشر: 1414هـ/1993م .

3- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1986م.

4- التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني، دار البعث، قسنطينة، نشر وتوزيع مكتبة رحاب، الجزائر، ط3، 1407ه/1986م.

5- العقيدة في الله، عمر سليمان الأشقر رحمه الله، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، طبع المؤسسة الوطنية للفنون

المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر.

6- الفصول في سيرة الرسول، ابن كثير، دار ابن كثير، بيروت، ط6، (د.ت).
7- المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، دار الأصالة، الجزائر، ط1، 2010م ص.662
8- المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،2007م.
9- تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط7، 1964م.

10- تفسير (التسهيل لعلوم التنزيل)، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، (دط.دت).

11- تفسير ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض، السعودية، 2002م، ج8، ص.184
12- ديوان الخنساء، تحقيق وشرح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان، (دط.دت)، ص.47
13- ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، لبنان، (دط.دت).

14- ديوان عنترة بن شداد، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د.ط)، 2003م، ص.68
15- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه، المجلد 18.
16- موازين القرآن والسنة للأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة، عز الدين بليق، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1403ه/1983م.

17-المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم، صبحي عبد الرؤوف عصر، طبع بدار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (دط.دت).

* المواقع الإلكترونية:

1- موقع الدكتور محمد راتب النابلسي: http://www.nabulsi.com
2- موقع تفسير القرآن الكريم:http://quran.v22v.net/tafseer-3697-35.html .
3- موقع الكلم الطيب:
.http://www.kalemtayeb.com/index.php/kalem/safahat/item/10491
4-/ موقع صيد الفوائد:http://www.saaid.net/mohamed/19.htm .
5- موقع معاجم:http://www.maajim.com/dictionary .